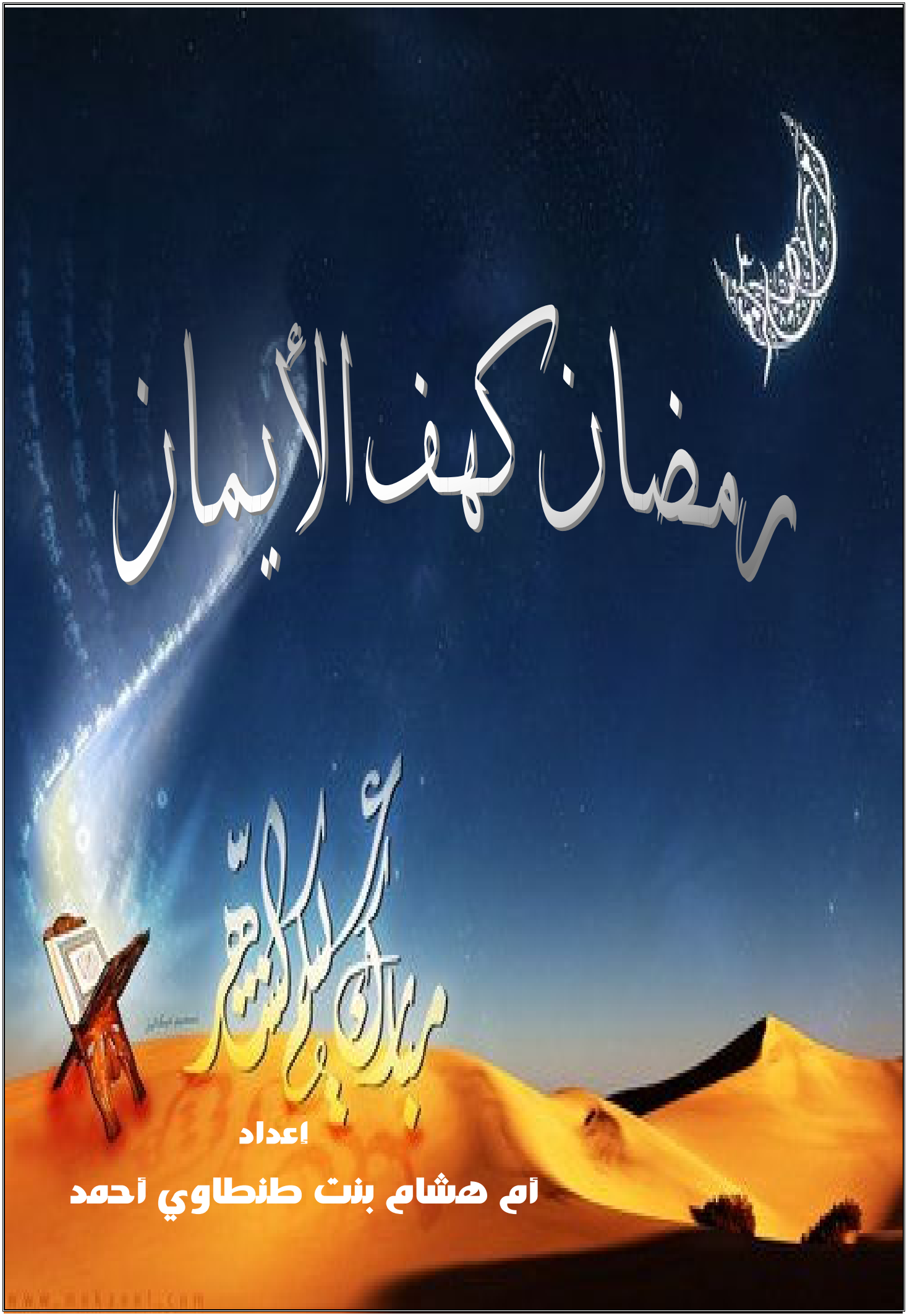
رمضان كهف الأيمان
إعداد
أم هشام بنت طنطاوي أحمد

بسم الله وأصلي وأسلم على رسول الله ﷺ

أخوتاه، رمضان كهف العام

من روائع ثمرات الإسلام أنه ينمي في الإنسان روح التأمل سواء على المستوى العام أو على مستوى التدقيق والتنقيب في الخبايا والأسرار.

مسألة التكهف في حياة الإنسان:

نحن إذا تأملنا حياتنا من بدايتها نجد أنها تبدأ بمرحلة تسمى مرحلة التكهف أو الكمون حيث أن الله تعالى بدأ خلق آدم من حفنة من تراب ثم كانت كالحمأ المسنون ثم كان آدم كالصلصال الأجوف، له شكل وقالب ذو منافذ، مداخل و مخارج، كان هكذا مدة من الزمن، تعرض خلالها للماء والهواء للحرارة وللبرودة ثم نفخ فيه من روحه فكان إنسان، ثم تطور خلقه من بنيه فكان نطفة تخرج من بين الصلب والترائب ثم علقة فمضغة فعظام ثم كسا الله العظام لحما فكانت النشأة الأولى، قال تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون].

أخوتاه، وخلق الإنسان يشبه البذرة تحت الأرض حيث تعيش البذرة فترة من عمرها تحت الأرض، في مرحلة كمون، بعيدة عن الأيدي، لا ترمقها عين ولا يأكلها طير، ولا يشمها أنف، تراها في عزلة، في عالم خاص بها، فهي في مرحلة إعداد وتهيئة، تضرب بجذورها أوتادا تحت عمق الأرض، حتى إذا ما ظهر لها ساقا وأوراقا وثمارا وجدت شجرة وارفة الظلال، طيبة الثمار، عريقة الجذور، ظلالها للإنسان كالأكنان، هذا هو الإنسان يشبه النبات في مرحلة الكمون تحت الأرض، هذا هو بناء الشكل والجسد، وكما أن للجسد بناء، كذلك للإيمان بناء وصروحا يمتد إلى آفاق السماء.

أحبتي في الله، ثم يخرج الإنسان طفلا من بطن أمه، قال تعالى﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾[غافر] فتراه يلعب ويلهو ويمرح ويضحك دون تكليف من ربه تعالى، لكنه يرى أمه ويرى أبيه يصليان، يصومان، يذكران الله تعالى، يصدقان في القول وفي الوعد، إلى آخر هذه الأعمال الصالحة، فتكون عنده الذاكرة الإيمانية والتي بذرتها موجودة عنده في فطرته السليمة، فكل مولود يولد على الفطرة، فيربى على الصلاح، على الأخلاق وعلى الإيمان بالله ومراقبة الله، وعلى الصدق حتى إذا بلغ سن التكليف وجد المنهج كاملا في بيته، في يد أمه وأبيه قرآنا وسنة، فيبدأ الملكان الكريمان يسجلان أعماله، وإن كان له سابق خير من تعويد أبويه له من صلاة وصيام وعمرة وصدقة وبر لأقاربه كتب له وهذا من فضل الله تعالى على الإنسان، فالله تعالى يبدؤه بالخير، يبدأ صحيفته بأعمال قد فعلها على غير تكليف من الله له، إنما كانت في حقه من تعويد والديه له، من سن عشر سنوات، وهكذا يستنير العبد بنور المنهج القويم، وأنا في بحثي هذا أسير قدما إلى كهف الإيمان، أجد أن سورة الكهف تتوسط نورين عظيمين ألا وهما نور سورة الإسراء ونور سورة مريم وتأتي سورة الكهف لتتوسطهما لتقيم بينهما كهف الإيمان الذي يصل بإذن الله إلى عنان السماء.

أخوتاه، لنتوقف عند النور الأول في بداية التكليف لهذا الإنسان لنرى ولنسمع ولنتدبر المنهج سويا معه، منهج الوسطية، وسطية الإسلام، قال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ

وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[البقرة] فنحن شهداء على الأمم السابقة بهذا المنهج، ورسول الله ﷺ علينا جميعا شهيدا بهذا المنهج، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المنهج مرارا وتكرارا في قرآنه الكريم، قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾[الأنعام] فسورة الإسراء تأتي بعد السبع الطوال وقصص الأنبياء وسورة النحل، تأتي لتلخص لنا منهج الوسطية تقف بنا في وسط الطريق، فهي تقع في الجزء الخامس عشر، في منتصف القرآن الكريم، تقف لتعلن في عزة وشموخ منهج الله، الأوامر والنواهي لهذا الإنسان الذي بلغ سن التكليف، لتأخذ بيده وتضع قدميه راسخة على أول طريقه إلى الله تعالى، وانظر إلى إعجاز القرآن عندما يفتتح سورة الإسراء بالتسبيح أي التنزيه عن كل عيب ونقص لله تعالى، "سبحان" ثم تقدم لنا أنموذجا رفيعا عاليا علو السماء.

أحبتي في الله، هذا الأنموذج والقدوة شعاره العبودية لله تعالى وحده ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ (بِعَبۡدِهِۦ) ﴾ هذا هو العبد وهذه هي العبودية المنبثقة من هذا المنهج الذي ستوضحه لنا سورة الإسراء، عبد الله ورسوله رســـول الله ﷺ ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب]

هيا بنا أخوتي في الله، ارفع عينيك التي في قلبك لترى صرحا تمتد جذوره في عمق الأرض ويعانق علياؤه عنان السماء، هل رأيت يا عبد الله هذا الصرح الذي بناه لك رسول الله ﷺ في شخصه، في نفسه، في خُلقِه، في خَلقِه، في سلوكه ومعاملاته، في غزواته وسلامه، في بيته ومع أولاده وأصحابه، في كل حياته ومماته، صرح امتد حتى وصل به إلى جنة عرضها السماوات والأرض قال تعالى﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ ﴾[الملك] هذا البناء يبدأ بتطبيق أوامر الله ونواهيه، هلم أخوة الإسلام لنتعرف على مواد تكوين هذا الصرح العظيم الشامخ لنقيمه أولا في أنفسنا، فالبناء يبدأ من الداخل أولا ثم تمتد فروعه إلى الخارج، إنه بناء في القلب، إنها شجرة التوحيد، التي هي ثمرة هذا البناء قال تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ ﴾[إبراهيم] ومعلوم أن أي بناء له أعمدة وأركان وقواعد ولا بد من حلال، فأنت إذا أردت أن تبني بيت في الدنيا فلابد لك من وضع أساس لهذا البيت، تحفر الأرض وتأتي بالجرارات والمعدات والأجهزة وأدوات الحفر ثم وضع الأساس (خرسانة حديدية صلبة) ليقام المبني عليها، لتقام الأعمدة والجدر عليه ثم يدهن هذا المنزل ويجمل وتوضع له الأبواب والنوافذ، ثم الأثاث من كماليات وغيرها من نجف وستائر وتحف وفرش وورود وبساط وغير ذلك، ثم نستقبل فيه الأحباب والأهل والأصحاب، وهكذا صرح الإيمان، قال تعالى﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ (بُنۡيَٰنَهُۥ) عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ

خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ (بُنۡيَـٰنَهُۥ) عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[التوبة] والله ضرب لنا مثلا لهذا البناء المنهار في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴾[غافر]

لطيفة:

لقد حذفت الألف الوسطى في كلمة (بنيانه) لنعلم أن هذا البنيان بنيان داخلي ملتصق بصاحبه قبل أن يكون خارجي، هذا البنيان ملتصق به لا ينفك عنه البتة ولا ينفصل هذا هو التكهف الداخلي الذي يأوي إليه العبد إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر، فالعبد الصالح يسمع واعظ القلب (لمة الملك) فيأوي إليه والعكس صحيح.

والله تعالى يبين لنا كيف بنى لنا هذا الكون العظيم من حولنا بأن جعل لهذه الأرض بؤرة منطقة وسطية تتوسط الدنيا كلها، وهي بمثابة القاعدة الخرسانية في البناء، فجعل الله تعالى كتلة حديدية ضخمة في وسط الأرض فهي الأساس وسماها لنا (أم القرى) مكة المكرمة هي وسط الأرض هي أم الأرض تحتها توجد الطبقة الأخيرة من الأرض (لب الأرض) أو قلب الأرض، وهي كرة ضخمة من حديد منصهر ومعه النيكل، هذا هو اللب المركزي، هو مركز المجال المغناطيسي للأرض حيث يوجد الحديد السائل بداخله كهربته الخاصة، هذا هو الجانب المادي المحسوس، لكن هناك جانب معنوي لا يقل أهمية عن هذا بل يزيد، قال تعالى ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[إبراهيم] إنها (مكة) مغناطيس الأفئدة، أم القرى، فيها صرح الإيمان، قال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾[الشورى] وهنا لطيفة: وكأن أم القرى هنا هي مركز الأراضي السبعة، هذا هو المركز مركز البناء.

نأتي لنعود مرة أخرى إلى بناء النفس وبناء الإيمان في القلب ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ﴾ لماذا؟ ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ وفي هذا إعجاز في ﴿ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ على أن الإسلام سيصل إلى ربوع المشارق والمغارب سيدخل كل بيت، هذا هو الحاصل، "ومن حولها" فهذا الوحي وهذا القرآن هو أساس البناء، لكن ما مواده، يحكي لنا الله تعالى في سورة الإسراء مادة هذا البناء، اللبنة الأولى، يشير لنا في البداية والنهاية إلى (المركز) الأساس في الأمر، أول الشيء وآخره، إنه ذروة سنام الإسلام (توحيد الله تعالى) هذا هو أصل البناء، بناء الإسلام، "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..." وهذا ما سنوضحه من سورة الإسراء، قال تعالى ﴿ سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ فيا عبد الله سبح الله أولا الذي أسرى بعبده أسرى به روحا وجسدا، قلبا وقالبا إلى عالم الغيب، إلى سدرة المنتهى ﴿

عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾[النجم] أسرى به بعد أن أقام في نفسه ﷺ أولا صرح العبودية لله تعالى ثم هو يجاهد في بنائه على الأرض، وفي قلوب العباد، من خلال تطبيق منهج السماء الذي بدأ بتوحيد الله تعالى، قال تعالى في سورة الإسراء ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ .. ﴾ هذا هو أول الأمر وإليكم تفصيله:

قال تعالى ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ[1] وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا[2] ﴾ ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ[3] وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا[4] ﴾ ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ[5] وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ[6] فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ[7] خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ[8] ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ[9] ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ[10] إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ[11] إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ[12] ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡفُ[13] مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ ﴿ وَلَا تَمۡشِ[14] فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ[15] وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾

ذلك هو الوحي وتلك هي الحكمة والحكمة تعني الكتاب والسنة، ومن اللطائف: أن سورة الإسراء تقع في الجزء الخامس عشر وفيها ١٥ أمر ونهي بدأ وانتهى بتوحيد الله، هذا هو أساس البناء.

أخوتاه، وهاهو ذلكم العبد يتسلم منهج الله تعالى، يحمل الأمانة، قال تعالى﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب] حملها الإنسان مثل أبيه آدم عليه السلام عندما هبط من الجنة إلى هذه الأرض (الأم) ومن هنا، ومن سن التكليف بدأ الصراع، وبدأت الحرب الضروس بين الإنسان وبين الشيطان، بين الحق والباطل، بعدما عصره العصرة الأولى فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ :"ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه إياه إلا مريم وابنها"[1] ثم قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[آل عمران] وفي رواية أخرى "ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى ابن مريم ومريم"[2]، وصدق الله ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ فعداوة الشيطان للإنسان قديمة قدم الزمان فكان لا بد للإنسان من إعانة، فما كان من الله الرحيم إلا الرحمة فأرسل إليه ملائكته عليهم السلام، تذكره، تؤيده، تنصره، تثبته، تعلمه، تحفظه، تبشره وتحذره، قال تعالى﴿ إِذۡ

---

[1] البخاري ومسلم
[2] أخرجه مسلم

يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[الأنفال] وقال تعالى﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[الرعد] وقال تعالى﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[فصلت]

ثم ها هو (الكون) أمام بني آدم يسبح بحمده، وفي كل آية منه تدل على أنه الله الخالق العظيم، فمن الكون يأخذ الإنسان العبر والمواعظ، ثم إن الله تعالى له (عناية خاصة) بعباده الذين يستمسكون بالكتاب والسنة، يوفقهم ويشرح صدورهم ويجعل لهم فرقانا، ولنا المثل الأعلى في حفظ الله تعالى لنبيه قبل البعثة النبوية، لكن الذي يسير على طريق الله وحده لا بد له من (معوقات وعقبات وعلائق) هذه سنة كونية لا بد منها، فالإنسان المؤمن عندما يحاول ويجاهد في قضية إزالة أنقاض الجاهلية ووثنية تخريبية تراكمت عبر القرون والأجيال بدعوى ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزخرف].

أخوتاه، هذه الجاهلية التي دفنت تحتها تعاليم الأنبياء والمرسلين وجهود المصلحين والمعلمين، فأنا وأنت عندما ننوي بناء شامخ مشيد البنيان واسع الأرجاء، يسع العالم كله كما تسع الجنة أهلها بل تزيد، فأول الأمر قضية إنشاء إنسان جديد مُربىٰ يختلف عن إنسان الجاهلية في كل شيء وكأنه ولد من جديد، إنها قضية اقتلاع جرثومة الفساد واستئصال شأفة الوثنية من جذورها بحيث لا يبقى لها عين ولا أثر، ثم ترسيخ عقيدة التوحيد في أعماق النفس البشرية والانتصار للحق، ليس للوطن ولا للحمية ولا للقبائل ولا للعروبة بل للحق فقط، قضية أن تخرج العباد من الظلمات إلى النور، قال تعالى﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام] هذه القضية كسنة كونية لا بد وأن يكون لها أعداء ومخاصمين، فمنذ الوهلة الأولى يتبين لنا علامات الطريق، إنها سنة تكذيب المرسلين والدعاة إلى الله تعالى، فلقد قال (ورقة بن نوفل) منذ قدم الزمان: يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ :"أو مخرجي هم؟!" قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. فلا بد من التكذيب والإخراج.

قال تعالى عن قوم لوط ﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[النمل] وعن قوم شعيب ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأعراف] وهكذا إنها سنة كونية سنة معاداة أهل الحق وهذا دليل على صحة الطريق، والعاقبة للمتقين.

ثم إنه لا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة وتفتح في القلب مناقد ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد، والقيم والموازين ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش من العيون والران عن القلوب.

فظل الرسول ﷺ يدعو إلى توحيد الله في مكة ١٣ عاما وقبل الدعوة السرية والجهرية كان قد حبب إلى النبي ﷺ (الخلاء) فكان يخلو بغار حراء فيتحنث الليالي ذوات العدد ليتفرغ قلبه وعقله وروحه إلى ما سيلقى من إعلام النبوة، فاتخذ من غار حراء متعبدا ومعتكفا ومحرابا ليقطع عن مشاغل الحياة ومخالطة الخلق استجماعا لقواه الفكرية ومشاعره الروحية والنفسية تفرغا لمناجاة خالق الوجود، إنه الإعداد الخاص وتصفية النفس من علائق المادية البشرية، إنها التربية الإلهية، ولكل مؤمن حظه من هذه الخلوة والتربية إن هو نهج منهج النبوة الصادقة وسار على الدرب إلى الله تعالى، ومن هنا جاءت سنة الاعتكاف في رمضان لتنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب، ثم كان الوحي وأحواله وحادثة شق الصدر، ثم الغطات الثلاثة التي تعرض لها النبي ﷺ، وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه[1]، فاستقبل النبي ﷺ الوحي ولقي ما لقي من لمعاناة حتى إنه خاف على نفسه "لقد خشيت على نفسي" فقدمت الزوجة الصالحة مؤهلات الداعية الحق، الداعية الصدق، قال خديجة رضي الله عنها :"كلا، والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم[1]، وتحمل الكل[2]، وتكسب المعدوم[3]، وتقري الضيف[4]، وتعين على نوائب الحق[5]" خمس مؤهلات ومسوغات تعيين لخير رسالة وجدت على ظهر الأرض، وهذا يدل على الإيمان الفطري لأمنا خديجة رضي الله عنها ومعرفتها بسنن الله تعالى في خلقه، إنها الشمائل والمكارم الأخلاقية التي ستحتوي المنهج والرسالة.

أخوتاه، فبعد أن قدمنا صفات الداعية الحق لا بد لإنشاء هذا الصرح إلى أعوان بعد معونة الله تعالى والملائكة، والآيات والمعجزات والكرامات، يأتي دور الزوجة المخلصة أو الزوج المخلص ثم تكوين الأنصار والأعوان، لا بد من تكوين الجبهة الداخلية المتماسكة لصد الهجوم الداخلي والخارجي، وهكذا فعل النبي ﷺ فكان إيمان أبي بكر وبلال وعثمان وصهيب والزبير وعبد الرحمن وطلحة وأبو عبيدة وأبو سلمة والأرقم وعثمان بن مظعون وسعيد ابن زيد وعبد الله بن جحش وجعفر وسعد وفاطمة بنت الخطاب وخالد بن سعيد وأبو حذيفة بن عتبة، هؤلاء وغيرهم هم السابقون، فلكل نبي حواريين ولكل داعية صادق أنصار صدق وحق، فكان منهم لأجهزة الأمنية ومكاتب المعلومات ووزارة المالية والدفاع وغير هذا، فكانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار.

أخوة الإسلام، إذا مشروع الدعوة الإسلامية يبدأ بمرحلة الاصطفاء والتأسيس ثم مرحلة المواجهة والمقاومة، ولتنفيذ منهج الله تعالى لا بد أيضا من الأخذ بالأسباب كهجرة المسلمين إلى الحبشة ومحنة الطائف والتي أصبحت منحة الإسراء ثم إن العبد الذي يحمل رسالة الله تعالى ويريد أو يوصلها لعباد الله لا بد له من التنوع في أساليب الدعوة، فهو يدعو سرا وجهرا، سلما وحربا، وجمعا وفردا، سفرا وحضرا، ثم هو يقص القصص ويضرب الأمثال ويخط على الأرض، يرغب ويبشر ويرهب ويحذر وينذر، ثم هو يبحث عن أجواء جديدة يتنفس فيها الناس عبق الإسلام وشذاه.

أخوة الإيمان، ومحنة الطائف تمثل إحدى المحن التي تتكرر يوميا في حياة المؤمن، فالمؤمن قد يجد من معسكر الإعراض والصد والزيغ أذى كثيرا، أذى جسدي وأذى نفسي، وطرد وسخرية، واستهزاء وغير ذلك، ولكن سنة الله ماضية في نصره المؤمنين المتقين.

وهنا نلمح في أفق السماء جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال يقول لرسول الله ﷺ :"إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين " إنها سنة الاستئصال التي كانت ماضية في الأمم السابقة، قال تعالى﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت] ولكن

[1] مسلم ٢٣٣٤

الرحمة المهداة أبت ذلك :"بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا"[1]، تصميم على البلاغ، وعدم تردد ولا انسحاب من ساحة الجهاد، بل رجوع إليها "إلى مكة" يريد أن يتخذ من أصلاب الكافرين مصانع بشرية تخرج أجيالا من المقاتلين في سبيل الله تعالى..

وقد يضطر صاحب الرسالة أن ينهض بالمجتمع داخليا بدلا من تطويقه من الخارج يعني يتغلغل في داخل بطون المكان ويوجد له حلفاء من بينهم.. فلا هزيمة ولا اختفاء بل إقدام واقتحام.. وهذا يتكرر في عمر الداعية كل لحظة من لحظات حياته إلى أن يأتي الفرج من الله تعالى..

وشأن المؤمن هو شأن الرسول ﷺ الذي أواه الله تعالى وأسرى به إلى بيت المقدس ثم إلى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى لقد حددت رحلة الإسراء والمعراج شخصية نبي هذه الأمة ﷺ وإمامته وقيادته وتحديد مكانة الأمة وبيان رسالتها ودورها بين الأمم..

ثم إن هذه المحنة كانت بمثابة تمحيص لصف الأمة من المترددين والذين في قلوبهم مرض وتثبيت للمؤمنين الصادقين الخلص.

فترى رسول الله ﷺ يجاهد في جمع الصف الإسلامي فيرجع من رحلة الطائف ليبدأ رحلة الإسراء والمعراج ثم يبدأ الطواف على القبائل"ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي" كل هذا يريد من وراءه أن يدخل الناس في كهف النور، كهف الإسلام والهدى والأمان.. يريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور.. فتوالت البيعات ثم تمت الهجرة إلى كهف الإيمان الذي ينفي الخبث فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ "إن الإيمان ليأزر إلى المدينة كما تأزر الحية إلى جحرها"[2] وقال ﷺ "إنها طيبة تنفي الذنوب" وفي رواية "تنفي الخبث" وفي رواية :"تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الفضة"، وفي طريق النبي ﷺ من مكة إلى المدينة وقف النبي ﷺ في سوق مكة ليودع الكهف الأول للإيمان :"والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت"[3]، ثم ها هو الصديق ﷺ يصاحب رسول الله ﷺ ليدخل معه كهف المدينة، ذلكم الكهف الكبير وللسفر إلى هذا الكهف دعاء وتضرع إلى الله تعالى، فقد دعا رسول الله ﷺ في سفره وهجرته....

دعاء:

"الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئا، اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام، اللهم اصحبني في سفري، واخلفني في أهلي، وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللني وعلى خُلقي فقومني وإليك فحببني وإلى الناس فلا تكلني، رب المستضعفين وأنت ربي، أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السماوات والأرض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل عليَّ غضبك أو تنزل بي سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندي خير ما استطعت لا حول ولا قوة إلا بك".

معية الله:

ودخل ﷺ الغار (كهف الإيمان) فقال لصاحبه: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال ﷺ :"ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"...الله أكبر.

أهل السبق:

---

[1] البخاري ٣٢٣١

[2] البخاري ١٨٧٦

[3] الترمذي فضل مكة ٧٢٢/٥

وبدأ سكان الكهف يزدادون في العدد والعدة من المهاجرين والأنصار ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾[التوبة].

وعيد:

وقد توعد الله المتخلفين عن اللحاق بهذا الركب الكريم بالعقوبة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ ﴾[النساء] واستثنى الله تعالى منهم الرجال والنساء والولدان الذين ليس لهم حيلة في الفرار والخروج من مكة.

وكان من أوائل الأعمال التي قام بها النبي ﷺ في مهجره بناء الكهف (المسجد) المصلى والمعتكف المظلة الإيمانية التي تتعلق بها القلوب والأفئدة، شعارها "الله أكبر" من كل قوى الظلم، ودخل المؤمنون الكهف وآخى بينهم رسول الله ﷺ وقام المجتمع على أساس من العقيدة الصحيحة وكان مجتمعا لا يعرف الموالاة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، إنها وحدة العقيدة والفكر والروح ولاء وبراء وحب في الله وعطاء لله واستعانة بالله، قال ﷺ :"إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم بظلي يوم لا ظل إلا ظلي..."[1]، ويبشر الله تعالى، قال الله تبارك وتعالى:"حقت محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتواصلين فيّ وحقت محبتي للمتباذلين فيّ، المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء"[2]

لا للعنصرية، لا للجاهلية:

وقال ﷺ موضحا الخطوط العريضة للفئة المؤمنة :"يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى"[3]، وبدأ المسلمون يعيشون نور الإسلام ويطبقون منهجه القويم من خلال (قال الله، قال رسول الله ﷺ) ففي سورة الإسراء أخذ رسول الله ﷺ المنهج والوصايا، فلما أراد أن ينفذ المنهج وقف صناديد الكفر والشرك أمامه، أذوه وحاربوه، فكانت المحن والمنح كما أشرت آنفا، وتميز الصف الإسلامي ومحص، فكان منهم المؤمن ومنهم المشرك ومنهم المنافق عياذا بالله، فالمؤمن هو جند من جنود الله تعالى، وهنا ألمح كهوف الإيمان ممتلئة عبر التاريخ بالمؤمنين.

انظر إلى نوح عليه السلام كان كهفه السفينة ركب معه المؤمنين، وها هو يوسف عليه السلام كان كهفه السجن يعلم فيه أسس التوحيد والعقيدة الصحيحة، وها أنت ترى إبراهيم عليه السلام في كهفه الذي حوله له ربه بردا وسلاما، وها أنا ألمح يونس عليه السلام في بطن الحوت، هذا هو كهفه ينادي ويناجي ربه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

---

[1] مسلم ٢٥٦٦
[2] مسند الإمام أحمد ٢٢٩/٥
[3] مسند الإمام أحمد ٤١١/٥

وهكذا جميع الأنبياء في كهوف الإيمان تجدهم هم وأنصارهم، قال تعالى﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾[الكهف] هم أهل السباق واللحاق والفرار إلى الله تعالى الذين امتثلوا أمر الله ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾[الكهف] هم الذين لسان حالهم ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾[طه] هم أهل ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾[المزمل] هم الذين فهموا معنى ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ ﴾[القيامة] فاتخذوا من الدنيا كهفا للإيمان يوصلهم إلى ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[الرحمن] هؤلاء أهل البشرى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة] ولقد شرع لنا كل عام (يوم عرفة) ذلك الكهف الكبير الذي يجمع الآلاف من المؤمنين والمؤمنات، فتجد في يوم عرفة كل عرفة عبارة عن خيام وكهوف وسُتُر فيها التالي والذاكر والداعي والباكي والخاشع والمتصدق والخائف فكأن الدنيا كلها صارت كهوفا إيمانية في ذلك اليوم العظيم، تجد فيها أتباع النبي ﷺ وبقايا من الصديقين والصالحين وكأنهم يرفعون أعلاما مكتوب عليها لبقية الأمم الأخرى الناشزة عن حكم ربها ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾[مريم]

حتى رسول الله ﷺ مر بكهف غار ثور وغار حراء، وشِعب أبي طالب بمكة ثم كانت المدينة أرض المهجر الكهف الذي ضم آلاف الصحابة ﷺ وتحولت المدينة إلى محاريب منها مسجد قباء، ثم مسجد رسول الله ﷺ إنها كهوف الإيمان ثم تحولت الدنيا كلها إلى مساجد ومحاريب، قال ﷺ :" إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربى قال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا"[1]، وقال ﷺ :" أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"[2]، فكما أن الله زوى لنبيه الأماكن فجعلت له مسجدا وطهورا، كذلك زوى له الزمان، فجعل الله تعالى لهذه الأمة العام كله يختزل في رمضان ورمضان كله يختزل في ليلة القدر، الليلة التي جمع الله فيها كل العلوم في كتابه العزيز (القرآن الكريم) فلقد زوى الله تعالى جميع العلوم في قرآنه العظيم، هذه كهوف زمانية ومكانية لأهل الإيمان بالله وحده، أيضا عندنا (كهف الصوم) فالله زوى لنا الشهر كله في صوم الأيام القمرية الثلاثة وكان كل يوم بمثابة عشرة أيام، فكأن العبد صام الدهر كله، وكان له الصوم جنة

[1] مسلم
[2] البخاري

يستظل تحتها من وهج النار وهجير المعاصي، إنه كهف الصوم، قال ﷺ :"الصوم جنة من عذاب الله"[1]، وقال ﷺ :"الصوم جنة يستجن بها العبد من النار"[2] إنه الكهف الذي يطل على باب الريان وعلى خضراء الفردوس، كهف يستظل فيه العبد من هجير الدنيا وضجيجها وزحامها وأنفاس العصاة فيها، وهذا الكهف وغيره يذكرنا بأصل الموضوع عندما دعا إبراهيم ربه تعالى ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾[إبراهيم] إنه بيت الله الذي تجمع فيه الأفئدة والقلوب المؤمنة تنصهر فيه كل شوائب الدنيا، وتعصر فيه العيون بل القلوب، وتمزج فيه المشاعر، وتختلط فيه الأصوات على تباينها بلغات مختلفات يدعون رب البريات.

وكما أن سورة الكهف تتوسط المنزلة بين سورتي الإسراء ومريم كذلك كهف رمضان يتوسط الشهور بين شعبان وشوال، فشعبان شهر السقيا، به نسقي ما أنبتنا في شهر رجب، ففي رجب بذرنا البذر بإذن الله، وفي شعبان أروينا هذا البذر، ثم يأتي رمضان بحرارته ورمضه ليستوي فيه الزرع وهذا يذكرنا بقوله تعالى ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾[هود] هنا ترسو سفينة النجاة، هذا هو المكان ثم رمضان يستوي فيه زرع الإيمان، هذا هو الزمان ثم تأتي ليلة القدر والتقدير لنحصد ما زرعنا ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ ﴾[الدخان] ثم يأتي (شوال) بداية جديدة لاستئناف العمل والمجاهدة، قال تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت] ومن لم يحصد في شهر القرآن ومن لم يحيا في أيام الربيع، فمتى؟! أقول له: أي شجر لم يورق في الربيع قطع للحطب، فلا تكن يا إنسان مثل حصب جهنم!! عافاك الله تعالى وعافانا والمسلمين.

لطائف شهرية:

- اسم شعبان تتشعب فيه (شعب) الخير وخصال الخير، فيه جمع البذور من جميع الشعب، بذور التقوى، من صوم وزكاة وصدقة وصلة وإطعام طعام وتلاوة قرآن وعمرة وخشية ومحبة وتوكل، وغير ذلك من بذور الإيمان، فيه النفس المؤمنة (تتشبع) من زاد التقوى ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ ﴾[البقرة] فيه (يشبع) العقل وتشبع الروح بعبق الإيمان، شعبان من الشعب وكأن كل شعب (عُش) يخرج منه الطير ويغدو خماصا ويعود بطانا، وقد أكل (عشب) أخضر ندي هني فهو فرح سعيد.
- اسم (رمضان): فالراء من تكرار الرحمة، والميم من المغفرة والمودة وهي من الحروف الشفهية وحتى تنطقها لا بد أن تغلق فمك وكأنك صمت عن المفطرات لأنه رمضان فتتقرب بالصوم لربك

[1] صحيح الجامع ٣٨٦٧
[2] صحيح الجامع ٣٨٦٨

فيودك ويحبك، قال ﷻ في الحديث القدسي:"وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه..."[1]

⇦ "رمضان": نأخذ من حروفه (مرن) يعني في رمضان العبد مرن، عضلاته مرنة من صلاته في التراويح قيام الليل الذي فيه مطردة للداء عن الجسد.

⇦ "رمضان": فيه (رمان) وهو من فاكهة الجنة، قال تعالى ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[الرحمن] إذا رمضان سبيل الجنات.

⇦ "رمضان": فيه (رمض) أي الحرارة التي تذيب (ران) القلوب.

⇦ "رمضان": فيه (أمن) من (النار) ومن كل ما هو (ضار).

إذا رمضان ربيع المؤمن، ربيعا حسيا وربيعا معنويا، ربيع للجسد وللروح، قال تعالى﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[الزمر] وقال تعالى﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾[الشرح].

⇦ قول الإمام ابن تيمية رحمه الله: بستاني في صدري، رمضان جنة الدنيا

والعبد المؤمن يعيش الدنيا، عمره كله في رمضان رمضان مستمر لا ينتهي، فهو يصوم عن الدنيا ويفطر عند الموت، قال تعالى﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر] وقال تعالى ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾[الشرح] هذه هي الدنيا مزرعة الآخرة وكأن العمر كله رمضان، يعمل فيه العبد ويجتهد ولا مستراح للعبد إلا تحت شجرة طوبى عندما يضع أول قدم له في الجنة....

أبواب وستور ولكن!

وهكذا يغلق العبد على نفسه أبواب النيران أبواب الفتن، أبواب الشهوات والشبهات، ليعيش سجن الدنيا، سجن محاط بسور بل أسوار وهذه الأسوار عندها أبواب باطنها فيها الرحمة وظاهرها من قبل أعداء الله العذاب والنار، هذه الأبواب وهذه الأسوار موجودة فعلا في الحياة الدنيا نراها بعين اليقين، حديث النواس بن سمعان الأنصاري ﷺ : أن النبي ﷺ قال:" ضرب الله تعالى مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ! ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله تعالى وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم"[2]، وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام]

---

[1] البخاري ٦٥٠٢

[2] مسند الإمام أحمد مجلد ١٨٢/٤ (١٧٦٧١)

وهذه الأسوار يغلقها الله تعالى توفيقا منه لمن يشاء من عباده ويفتحها عدلا لمن يشاء من عباده، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧ ﴾[آل عمران] فالتكاليف في الدنيا (مواد الامتحان) لها ظاهر ولها باطن، ظاهرها: التعب والنصب والسهر والكبد والعطش والجوع والألم والفراق وإراقة الدماء في الجهاد في سبيل الله وبذل المال في الزكاة والصدقات وإطعام الطعام وصلة الأرحام وبر الوالدين والحج والعمرة وإغاثة الملهوف والسعي على الأرامل والمساكين والأيتام.

وباطنها: الاطمئنان وشرح الصدور، الفرح، الإلهامات الطيبة، التوفيق، استجابة الدعاء، الرضا، الأنس بالله، التوكل على الله، السعادة بالله، البشريات، تصديق وعد الله، وهكذا..

فالعبد معلق بين الظاهر والباطن، بين الوعد والوعيد، بين الرحمة والعذاب، بين المصدق والمكذب، بين اليقين والشك، بين عالم الغيب وعالم الشهادة، لذلك كانت اول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ﴾[العلق] هذا الدم الأمشاج فيه خلاصة هذا العبد وما كتب له من الفلاح أو الخسارة، فهو معلق بين رحمة الله وبين عدله حسب علم الله الأزلي فيه أولا ثم سعيه ثانيا.

لذلك العبد الذي على يقين من ربه ومن موعود ربه يرى أن الدنيا، كل الدنيا مجرد صور والأصل هناك في الدار الآخرة، يرى أن لكل تكليف ظاهر وباطن، فإن هو بتوفيق الله استعلى بإيمانه على ظاهر التكليف (التعب والنصب و...) وجد حلاوة باطن التكليف في قلبه، قال ﷺ :"ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا"، لذلك أزف لهذا العبد ونسأل الله من فضله هذه البشرى والجزاء من جنس العمل، قال ﷺ :"إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها" قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال ﷺ :"لمن اطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام"، بذل للمال مع صيام وقيام هذا هو المهر... مهر الجنة.

إنها الجنة ما حليت لأمة من الأمم مثلما حليت لأمتنا هذه ومع هذا لا نرى لها عاشقا، أين أمثال علي وعمار وسلمان الذين اشتاقت لهم الجنة..

لو كنت تعلم من خطبت ومن طلبت *** جعلت السعي منك لها على الأجفان
حور تزف إلى ضرير مقعد *** يا محنة الحسناء بالعميان

بشرى:

فإن العبد بتوفيق الله سد عن نفسه أبواب النيران هنا، فتح الله له بتوفيقه أبواب الخير وهنا نزف البشرى للمسلمين والمسلمات، ولكن بعد أن نؤصل هذا التأصيل : أن العبد بإمكانه بعد توفيق الله له أن يجعل من حياته كلها رمضان حتى أنه إذا قيل له غدا القيامة ما كان عنده مزيد عمل وهذا منهج سلفنا الصالح ﷺ .

ففي حديث أبي هريرة الذي رواه الترمذي وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي قال ﷺ :"إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة".

أخوتاه، هداكم الله وزكاكم وجعل الجنة مثواي ومثواكم، أقول والذي لا إله إلا هو إن فتح هذه الأبواب يكاد القلب يسمع حلق أبوابها وهي تفتح من رضوان خازن الجنان عليه السلام ، القلب يسمعها، يستشعر ريح الجنة مع فتح الأبواب أول ليلة من رمضان، وهذا هو الجانب الحسي هنا، وهناك جانب معنوي في القلب والنفس والروح، فالصدر ينشرح ويتسع عند فتح الأبواب ليسع الجنة في داخلهن والقلب يطمئن لموعود الله تعالى

والروح تنطلق وتخترق الأجواء العليا لتصل إلى ربها وتسجد تحت العرش لترى مكانها في الجنة وتشم عبير الرضا وتتوج بنور الإيمان في الملأ الأعلى، ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾[العلق] هذا كله والعبد في الدنيا في (كهف الإيمان) أما في الآخرة قال تعالى ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد]

أسرار ولطائف:

ولاحظ هنا حذف الألف الوسطى في (جنات- أزواجهم- ذرياتهم- الملائكة - سلام) مع بقاء ألف (الآباء) وفي هذا دلالة وإشارة إلى أن كل زوج مؤمن دخل الجنة هو مع زوجته أميرة الجنة زوجته التي كانت زوجته في الدنيا مع ذريته، قريبين منه لا ينفصلون عنه كما أن الملائكة قريبين منه، محيطين له، في خدمته يلبون أوامره، يُدخلون عليه السرور والأفراح بالتحف والهدايا، لا يفارقونه، فيا لذة القرب والنعيم في الزوج والولد والملائكة، وهم في سلام لا يفارقهم، سلام واطمئنان ورضا وأنس وسلم لا يفارقهم، ولا غرو فإنهم في دار السلام، ويحيون بالسلام من ربهم السلام، لكن الآباء تشمل الأجداد على امتداد الزمان، فلكل أب وجد شأن في حياته في الجنة، يتزاورون نعم ولكن غير متلاصقين متقاربين هم مع أسرهم يتنعمون، أما لقرب الزوج مع الزوجة والأولاد فتراهم متقاربين ولا يفترقون، وهذا من أسرار الحروف في الرسم العثماني ولله الحمد.

نافذة ليلة القدر:

﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾

سلام في الدنيا يوم أن قال الله لهم ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾ ﴾[القدر] إنها ليلة السلم والسلام من كل ذي شر، ليلة القدر لكلم ن كان له قدر عند الله، يقدر فيها لكل عبد قدره، والسلام فيها لا يفارق العبد، ملاصق له ملتف حوله، يعانقه يصافحه، وكأنه يبشره بموعود الله وكأن الفجر هو فجر الجنة المستنير بنور الله، فهي ليلة يضاء فيها مصباح الزمان لينير العام كله بل العمر كله، من أول صلاة فرضت على العبد (صلاة الظهر حتى صلاة الفجر)* فهذه خمس صلوات وهذه الآية رقم ٥ وهذه من اللطائف، وكأن هذه الليلة ترفع شعارها وتقول أن الذي يحافظ على الصلوات الخمس كان له عهدا عند الله أن يدخله الجنة فالسلام مرتبط بالإسلام والإسلام بني على خمس والفجر هو الفريضة الخامسة، ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ هي الآية رقم ٥ من سورة القدر والقدر خمس حروف، فقدرك وشأنك يحدد لك من صلاة الظهر إلى صلاة الفجر، هذا هو العهد وهذا هو القدر فـ ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس] في ليلة السلم والسلام في ليلة القدر.

* "حديث جابر أن النبي ﷺ جاءه جبريل عليه السلام فقال له: قم فصلي الظهر حين زالت الشمس...."الإرواء، وفي هذا إشارة إلى أن صلاة الظهر أول صلاة فرضت

والسلم والسلام والقدر والتكليف في الدنيا والتشريف في الدنيا والآخرة إنما يأتي ضمن المنهج الرباني السماوي الذي أنزل في الكتاب والسنة في ليلة القدر الليلة المباركة قال بن عباس ﷺ: أنزل القرآن جملة واحدة فجعل في بيت العزة وذلكم في رمضان.. قال بن جرير الطبري: نزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر.. وهكذا قال سعيد بن جبير، القرآن هو المتعبد به في الصلوات الخمس لرب السماوات والأرض ألفاظه إذا اشتدت فأمواج البحر الزاخرة، وإذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة، متى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسن ترعد من حمى القلوب، معان هي عذوبة ترويك من ماء البيان ورقة تستروح منها نسيم الجنان ونور تبصر به وجه الأماني يجري في الخواطر كما تصعد في الشجرة قطرات الماء ويتصل بالروح فإنما يمد لها بسبب إلى السماء ماء يتلألأ من النور فكأنما عصر من النجوم كلام تضئ ألفاظه كالمصابيح، إنه سر السماء هو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول إنه القرآن عنوان كهف الإيمان ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ ما أحوج الأمة إلى أن تعيش هذا النور وهذا السلم والسلام والعالم من حولها يعيش ظلمات الجاهلية والشهوات وسعار الشبهات ظلمات الأساطير والخرافات والتصورات ظلمات هدم الثوابت والنزعات والاندفاعات في التيه ظلمات الحيرة والقلق والوحشة ظلمات اضطراب القيم وتخلخل الأحكام والقيم والموازين..

أقولها كلمة لله تعالى يوم يضع الله الموازين القسط يوم القيامة الأمة الآن تطعن في الثوابت في جذور الدين وأصله لأنها تركت سنام الدين ذروة الإسلام ألا وهو الجهاد ولا حول ولا قوة إلا بالله..

كيف لأمة القرآن أن تخلع تاج كرامتها من على رأسها وتخلع حلة الكرامة من على جسدها، الأمة الآن تأن وتضطرب في يوم عاصف إن الجهاد سياحة هذه الأمة ويكفيه شرفا أن الجنة تحت ظلال السيوف عز وشرف وكرامة وهو أمان من النفاق والذل والهوان، وعن نافع عن ابن عمر: قال ﷺ :"إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه من قلوبكم حتى ترجعوا إلى دينكم"[1]، فيا أمة الإسلام السلام كل السلام في القرآن والقرآن دعانا إلى الجهاد فالله الله في الجهاد حتى نسلم من الذل والهوان، قال تعالى﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾[الحج] حديث معاذ ﷺ :"ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد...."[2].

فأبواب الجنة تبقى مفتحة على أهلها، لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة وفي هذا إشارة إلى حرية تصرف أهل الجنة وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاءوا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت، فلقد انتهى زمان غلق الأبواب فلطالما أغلقوا على

---

[1] أبو داود ٢/٥٩٤

[2] صحيح الجامع ٥١٣٦

أنفسهم أبواب الفتن في الدنيا ففتح الله لهم أبواب الجنة ولذلك لما وجدوا ذلك قالوا ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[الزمر]

أقول بعدما حصد الإنسان درجات أعماله في ليلة القدر إذ هو يبدأ من جديد دورة إيمانية جديدة فيها الصيام، صيام الست من شوال فيها القيام والصدقات وإطعام الطعام وصلة الأرحام وطلب العلم وتلاوة القرآن وحتى تشحذ النفس من جديد أزف لكم هذه الباقة النورانية من بستان رسول الله ﷺ، قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[التوبة].

باقة نور:

١. (**ألا بعدا للنار**)ففي صحيح ابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال ﷺ :"لا يصوم يوما عبد في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا"، "من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والأرض"

٢. (**الريان**) وعن سهل بن سعد ﷺ قال : قال ﷺ :"إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد"[1] وزاد الترمذي "ومن دخله لم يظمأ أبدا".

٣. (**حسن خاتمة**) وقال ﷺ :"من ختم له بصيام يوم دخل الجنة"[2]، وأيضا عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال ﷺ :"إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكواكب في السماء"[3]، إذا ليس كل أهل الجنة لهم غرف، وأتساءل من هم أهل الغرف؟

٤. (**غرفات ودرجات وموجبات وهو جمع الصالحات**) يجيب عن هذا السؤال رسول الله ﷺ في حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال ﷺ :"إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام"[4]، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :"إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم"قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: "بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين"[5]

٥. (**شفاعة**) عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي ربي إني منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان"[6].

٦. (**دعوة لا ترد**) قال ﷺ :"ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم ودعوة المظلوم ودعوة المسافر"[1].

---

[1] البخاري ومسلم
[2] صحيح الجامع ٦٢٢٤
[3] البخاري ومسلم
[4] حسن رواه أحمد في مسنده
[5] البخاري ومسلم
[6] صحيح الترغيب ١/ ٤١١

٧. (**شعار الأبرار**) قال ﷺ :"جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار يقومون الليل ويصومون النهار ليسوا بأثمة ولا فجار"[٢]
٨. (**فرحتان**) قال ﷺ :"للصائم فرحتان: فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه"[٣]
٩. (**ريح المسك**) عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ :"قال الله ﷻ :كل عمل ابن آدم له إلا الصيام والصيام لي وأنا أجزي به ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"[٤]، والخلوف أعظم عند الله من دم الشهيد لأنه اطيب من ريح المسك لكن الدم يشبه ريحه ريح المسك وليس معنى هذا أن الصوم أفضل من الشهادة ولعل السبب أن كل ما أصله طاهر أطيب ريحا أو ربما لأنه كان سرا بين العبد وبين ربه فأراد الله أن يظهره، هذه الرائحة تعطر الجنات.
١٠. (**الصوم جنة**) قال ﷺ :"الصوم جنة من عذاب الله"[٥]
١١. (**الصوم مغفرة**) قال ﷺ :"من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه".
١٢. (**عتقاء**) حديث أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ :"لله عند كل فطر عتقاء"[٦].
١٣. (**حجة مع النبي** ﷺ) قال ﷺ :"عمرة في رمضان كحجة معي"[٧].
١٤. (**مضاعفة الأجر**) حديث زيد بن خالد ﷺ قال: قال ﷺ :"من فطر صائما أو جهز غازيا، فله مثل أجره"[٨].
١٥. (**تصفيد الشياطين**) روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ :"إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين".
١٦. (**ليلة القدر**) عن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ :"أتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم"[٩] "...وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى"[١٠]، "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني"[١١].

إحـــذر:

قال ﷺ :"إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة"[١٢]، وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ :"إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم إني صائم"[١٣]، وعنه أيضا ﷺ قال ﷺ :"من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[١٤].
عدد (١٦) باقة نور لشهر رمضان، كل أسبوع (٤) باقات ونسأل الله القبول..

---

[1] صحيح الجامع ٣٠٣٠
[2] الصحيحة ١٨١٠
[3] صحيح رواه احمد في مسنده ومسلم وابن حبان
[4] رواه مسلم والنسائي
[5] صحيح الجامع ٣٨٦٧
[6] صحيح الترغيب والترهيب ٩٩١
[7] صحيح الجامع
[8] رواه البيهقي وصححه ألباني في صحيح الجامع ٦٤١٤
[9] صحيح الترغيب ٤١٨/١ رقم ٩٨٩
[10] صحيح الجامع ٥٣٤٩
[11] صحيح المشكاة ٢٠٩١
[12] صحيح الجامع ١٦١٩
[13] البخاري ومسلم
[14] البخاري

احذر تامين النبي ﷺ على دعوة جبريل عليه السلام :

عن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فلما رقي عتبة قال: آمين، ثم رقى أخرى فقال : آمين، ثم رقي الثالثة فقال: آمين، ثم قال: "أتاني جبريل فقال: يا محمد من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله فقلت آمين، قال ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله فقلت آمين، قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله فقلت آمين"[1].

واشوقاه إليك رمضان، ففيك يصلي الله علينا وملائكته فقد صح عن ابن حبان وغيره أنه ﷺ قال:"إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين" ولم لا والصوم لا مثل له لا عدل له، نسأل الله من فضله.

رمضان مضمار السابقين وغنيمة الصادقين وقرة عيون المؤمنين وليالي رمضان كالتاج على رأس الزمان وهي غنيمة أهل الإيمان، والغنائم كثيرة لكن أين أهلها والمتنافسين فيها...؟! قال تعالى ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[الصافات] وقال تعالى ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين].

سوق الغنائم:

- ✓ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فممن أنا؟ قال: "من الصديقين والشهداء"[2]
- ✓ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال ﷺ :"إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة"[3].
- ✓ قال ﷺ :"من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين"[4].
- ✓ عن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ :" من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان : براءة من النار و براءة من النفاق "[5].
- ✓ عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :" من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر و أربع بعدها حرم على النار "[6]، وقال ﷺ :"من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار"[7]، وقال ﷺ :"من كان سهلا هينا لينا حرمه الله على النار"[8]، وقال ﷺ :"من شهد أن لا إله إلا الله وأم محمدا رسول الله حرم الله عليه النار"[9].
- ✓ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ :" من صلى و جلس ينتظر الصلاة لم يزل في صلاة حتى تأتيه الصلاة التي يلاقيها "[10]، وعنه أيضا رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا و يرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره و كثرة الخطا إلى المساجد و انتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط "[11]

---

[1] صحيح الترغيب والترهيب ٩٨٦
[2] صحيح الترغيب والترهيب ٢٢١٢
[3] صحيح
[4] صحيح الجامع ٦٣١٥
[5] صحيح الجامع ٦٣٦٥
[6] صحيح الجامع ٦١٩٥
[7] البخاري
[8] صحيح الجامع ٦٤٨٤
[9] البخاري ومسلم
[10] صحيح الجامع ٦٣٦٦
[11] صحيح الجامع ٢٦١٨

- ✓ وعنه ﷺ قال: قال ﷺ :" إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه "[1].
- ✓ عن أنس ﷺ قال : قال ﷺ :" من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة و عمرة تامة تامة تامة"[2].
- ✓ قال ﷺ :" من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر الله له ما تقدم من ذنبه "[3]

- ✓ عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم و من خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر و صلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين"[4]
- ✓ وعنه ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:" من مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة و من مشى إلى صلاة تطوع فهي كعمرة نافلة "[5]
- ✓ وقال ﷺ :" أديموا الحج و العمرة فإنهما ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد "[6].
- ✓ عن أنس ﷺ قال: قال ﷺ :" سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها "[7]
- ✓ قالت عائشة رضي الله عنها: قال ﷺ :"إذا اشتكى المؤمن أخلصه من الذنوب كما يخلص الكير من خبر الحديد"[8].
- ✓ عن سهل بن حنيف ﷺ قال: قال ﷺ :"من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه"[9].
- ✓ عن ابن مسعود ﷺ قال: قال ﷺ :" إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدا منكم "[10]
- ✓ وعن سلمان ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:"من مات مرابطا أجري عليه عمله الذي كان يعمل وأومن الفتان ويجري عليه رزقه"[11].
- ✓ قال ﷺ :" إن الله و ملائكته حتى النملة في جحرها و حتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير "[12]، وقال ﷺ :" إن الله و ملائكته يصلون على الصف الأول"[13]، وقال ﷺ :" إن الله تعالى و ملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف و من سد فرجة رفعه الله بها درجة "[14]، وقال ﷺ :" إن الله تعالى و ملائكته يصلون على المتسحرين ".

---

[1] صحيح الجامع ٣٩٥
[2] صحيح الجامع ٦٣٤٦
[3] صحيح الجامع ٦١٦٥
[4] صحيح الجامع ٦٢٢٨
[5] صحيح الجامع ٦٥٥٦
[6] صحيح الجامع ٢٥٣
[7] صحيح الجامع ٢٠٨٩
[8] البخاري
[9] مسلم
[10] صحيح الجامع ٢٢٣٤
[11] صحيح
[12] صحيح الجامع ١٨٣٨
[13] صحيح الجامع ١٨٣٩
[14] صحيح الجامع ١٨٤٣

- ✓ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لبلال :"يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة" قال: ما عملت عملا أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورا في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي[1].
- ✓ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ :" الصلوات الخمس و الجمعة إلى الجمعة و رمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر "[2].
- ✓ عن أوس بن أوس ﷺ قال: قال ﷺ :" من غسل يوم الجمعة و اغتسل ثم بكر و ابتكر و مشى و لم يركب و دنا من الإمام و استمع و أنصت و لم يلغ كان له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة أجر صيامها و قيامها"[3].
- ✓ قال ﷺ :" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم و قربة إلى الله تعالى و منهاة عن الإثم و تكفير للسيئات (و مطردة للداء عن الجسد)"[4].
- ✓ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ :" من غدا إلى المسجد و راح أعد الله له نزلا من الجنة كلما غدا و راح "[5].
- ✓ ومن الغنائم: إماطة الأذى عن الطريق، والكلمة الطيبة، وإعانة الرجل على دابته، ونفقة الرجل على أهل بيته يحتسب هذا، وغرس الأشجار.
- ✓ وعن زيد بن خالد قال: قال ﷺ :" من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا "[6].
- ✓ عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ :" الساعي على الأرملة و المسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار "[7].
- ✓ عن علي ﷺ قال: قال ﷺ :" ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي و إن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح و كان له خريف في الجنة"[8].
- ✓ وعن أبي مامة ﷺ قال: قال ﷺ :" من غسل ميتا فستره ستره الله من الذنوب و من كفنه كساه الله من السندس "[9].
- ✓ وعن عمرو بن حزم ﷺ قال: قال ﷺ :" ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة "[10].
- ✓ عن سعد ﷺ قال: قال ﷺ :" أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟ يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب الله له بها ألف حسنة و يحط عنه بها ألف خطيئة "[11].
- ✓ عن عمر ﷺ قال: قال ﷺ :" ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول حين يفرغ من وضوئه : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء "[12].

---

[1] البخاري ومسلم
[2] مسلم
[3] صحيح رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع ٦٤٠٥
[4] صحيح الجامع ٤٠٧٩
[5] البخاري ومسلم
[6] صحيح الجامع ٦٤١٥
[7] البخاري ومسلم
[8] صحيح الجامع ٥٧٦٧
[9] صحيح الجامع ٦٤٠٣
[10] الألباني في الإرواء ٤٦٤
[11] مسلم
[12] مسلم

- ✓ عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال ﷺ :" من تعار من الليل فقال حين يستيقظ : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك و له الحمد يحيي و يميت بيده الخير و هو على كل شيء قدير سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله ثم قال : اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له فإن قام فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته"[1].
- ✓ عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات و حط عنه عشر خطيئات و رفع له عشر درجات "[2].

بشرى نختم بها هذا البحث الطيب عسى الله أن ينفعنا به جميعا ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب، قول الحق ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾[التحريم]..

نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا صوابا لوجهه الكريم، وأن يثقل به الميزان وينفعنا به ووالدينا وأهلنا والمسلمين والمسلمات، سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك..

---

[1] البخاري
[2] البخاري